دراسة تقنية الزمكان في السرد الملحمي لكتاب (الحسين لغة ثانية) للشاعر جواد جميل

د. سيد فضل الله ميرقادري
أستاذ في قسم اللغة العربية وآدبها، جامعة شيراز، إيران
د. أمين نظري تريزي
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدبها، جامعة شيراز، إيران، الكاتب المسؤول
ندا قياسي
طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدبها، جامعة شيراز، إيران

A study of the chronotope technique in the epic narration of the book (Al-Hussein is a Second Language) by the poet Jawad Jamil

Seyyed Fazlollah Mirghaderi
professor of Arabic Language and Literature, Shiraz University
sfmirghaderi@gmail.com
Amin Nazari Terizi
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Shiraz University
Corresponding Author: Aminnazari1369@yahoo.com
09137835951
Neda Qiyasi
phd student of Arabic Language and Literature, Shiraz University
nedag1967@gmail.com

Abstract:
The study of the temporal term (chronotope) is one of the modern literary studies, as many scholars have studied time and space separately in the system and prose of Arabic literature. This research attempts to study the term space-time without separating the twins, aiming to apply what Mikhail Bakhtin created under the title of the chronotope in the book "Hussein is a Second Language" by Jawad Jamil to demonstrate the aspects of epic art in the poems of this Iraqi poet distinguished by his revolutionary voice in the language of symbols, and to extract the space-time technique from the urgent text narrative. Mi This is done using a descriptive-analytical approach. The research reached results, the most important of which was that the Book of Hussein is a second language and a touch of contemporary literature that embraces epic art and possesses its components, while lacking some components that disturb its narrative, in addition to the presence of the spatio-temporal aesthetic in an effective, noticeable and influential way that took over the pieces, and the twins were rarely separated.

words: Chronotope, epic art, Al-Hussein as a second language, Jawad Jamil. Key

الملخص

تعدّ دراسة مصطلح الزمكانية (كرونوتوب) من الدراسات الأدبية الحديثة، حيث قام العديد من الباحثين بدراسة الزمان والمكان كل على حدة في المنظوم والمنثور من الأدب العربي، هذا البحث يحاول دراسة مصطلح الزمكانية دون فصل التؤمان، مستهدفاً تطبيق ما خلقه ميخائيل باختين تحت عنوان الكرونوتوب في كتاب "الحسين لغة ثانية" لجواد جميل لبيان مظاهر الفن الملحمي في أشعار هذا الشاعر العراقي المتميز بصوته الثائر بلغة الرمز، واستخراج تقنية الزمكان من سرد النص الملحمي بمنهج وصفي– تحليلي. ولقد وصل البحث إلى نتائج كان أهمها أنّ كتاب الحسين لغة ثانية وكنفحة من الأدب المعاصر يحتضن الفن الملحمي ويملك مكوناته مع عوزه إلى بعض المكونات التي تختل سرده، إضافة إلى حضور جمالية تقنية الزمكانية بشكل فاعل ومشهود ومؤثر استحوذ على المقطوعات، ونادراً ما انفصل التوأمان.

الكلمات الرئيسية: الزمكان، الفن الملحمي، الحسين لغة ثانية، جواد جميل.

١ .المقدمة

لقد مرّ الشعر العربي بمراحل عدة، ومحطات تاريخيّة، تسنى له من خلالها خوض التجارب، ولقد عرف العديد من الإتجاهات والخصائص الفنية، كما عرف الكثير من الأشكال الشعريّة. ومن الأشكال الشعريّة التي عرفها هي: القصيدة العموديّة، والأنشودة ، والشعر الحرّ، والرباعيات، وقصيدة النثر، والومضة، وقصيدة الديوان وهي القصيدة المطولة التي تشكّل بمفردها ديواناً، وهي ذات الطابع الملحمي.

والشعر الملحمي مضمون فني ليس هو شعر الملحمة، الذي يعدّ شكلاً أدبياً له خصائصه الفنيّة التي ظهرت عند شعوب السرديات، التي اعتمدت حضارتها على المشافهة، فإن كانت الملحمة قد انتهت شكلاً في الكتابات الشعريّة، والفنون الدراميّة القديمة فإنّ الملحمي لا زال مستمراً، كمحتوى فني لصيق بالفنون الأدبيّة المعاصرة (باويه، ٢٠١٤: ٢). وعند دراسة كل شعر أو نصّ منثور تتجلّى التقنيات السرديّة. والدراسات السرديّة تحمل دوماً على عاتقها تجليات تتمظهر من خلالها التقنيات في البناء السردي، ومن هذه التقنيات الزمان والمكان، إذ إنّ لهذين الاثنين علاقة وطيدة ببعض، فلا تُذكر واقعة حدثت في مكان ما دون ذكر زمانها، ولا يوصف زمن ما دون الإشارة إلى المكان، فالمكان إطار حافظ للزمان، إذ يمثل الخلفيّة التي تقع فيها الأحداث، والزمان يتمثل في الأحداث نفسها وفي تطورها. ولا يوجد أصعب من الكلام في موضوع تعاورته الأقلام وكثرت حوله الدراسات، ومصادره واحدة وأخباره متحدة، وملحمة الطف مسرحية بكت على منصتها الأقلام،

وأنحت أمام ذكراها الأفكار خشوعاً وإجلالاً، مسرحية حُدت حدودها بكربلاء الأبدية، ونقش تاريخها على جبين الزمان ورسمتها يد الأقدار بدماء خلّدتها على مدى العصور. ثورة الحسين مادة خصبة استلهمها الأدباء في فنهم إستلهاماً واسعاً (جميل، ١٩٨٨: ٣).حيث درسها الباحثون وخاض في غمارها الدارسون مستلهمين من هذا الأدب الثّر ما يغني دراساتهم، ويثري نصوصهم. ولو تأملنا في شكل ومضمون القصيدة الحسينيّة، لوجدناها أضافت إلى الشعر العربي عامة والوجداني خاصة، رؤية جديدة في الشكل والمضمون (رستم پور، ١٣٩٥: ٢). تسعى هذه المقالة إلى دراسة هذا الأدب الثّر من زاوية الزمكان في التقنيات السردية لبيان تبلورها وإظهار جمالياتها وصولاً إلى أن ما جاء بين دفتي كتاب الحسين لغة ثانية يمكنه أن يكون نصاً ملحمياً، ونوعز الضرورة إلى إضافة الكم القليل إلى مجموعة الدراسات القائمة في هذا المضمار، فالصرخة الحسينية الخالدة فتحت أبواب الإبداع على مصراعيه لكل فكر، ليبدي حضوره ويعكس أفكاره ورؤاه.

منهج البحث

المنهج الوصفي – التحليلي هو المنهج المتّبع في هذا البحث؛ لأن المنهج الوصفي يقوم بشرح الظاهرة، وبوصفها من خلال ظواهرها المختلفة، وتحديد خصائصها مستعيناً بالمنهج التحليلي ليقوم ببيان العلاقة بين الظواهر التي سيتم تحليلها، وكيفيتها. وذلك بالاستفادة من دراسة سردية لتقنية الزمكان لاستخراج جمالية النص.

أسئلة البحث:

-كيف ظهرت التقنيات السردية (تقنية الزمكان) في شعر جواد جميل؟

– هل استطاع جواد جميل أن يدمج بين الشعر الملحمي وتقنيات السرد؟

– هل استطاع جواد جميل ضمن كتابه الحسين لغة ثانية أن يرسم الشعر الملحمي بكافة أبعاده؟

خلفية البحث

جواد جميل صهر معالم الطف في عبارات قلما نجد مثيلاتها في الكتب،كلمات جسدت التضحية، والإباء والعضمة، والشهادة،كلمات شدت إلى نفسها كلّ محبٍّ مولع بأدب الطف الثّر. وقامت العديد من الدراسات تتصفح أوراقه لاستخراج درر جمالياته، وجاءت الدراسات باللغتين العربية والفارسية ومنها:

– دراسة مالک عبدي (١٣٩٤ش) وهي دراسة تطبيقية لمضامين عاشوراء في شعر وصال الشيرازي وجواد جميل في دراسة للمقاومة والحماس في الأدب المقارن.

– وقام حيدريان شهري (١٣٩٦ش) بقراءة في رمزية المقاومة في الأدب المقارن في شعر العصفور وجبرائيل والحسين لغة ثانية بنظرة إلى فك شفرة الرموز وبمقارنة بين هذه الرموز وصولاً إلى طريقة

لقرآءة تلك الرموز إذ تعد المجموعتان من الأثار الرمزية في مجال الأدب المقاوم في عاشوراء لأن لغة جراح الحسين لغة ثانية، لغة ثانية تفسّر لسان الوحي.

– ودراسة نرجس أنصاري (١٣٩٢ش) معالجة الرمزية في أشعار جواد جميل حيث درست تحليل الرموز المتعلقة بالأدب المقاوم في مجموعة الحسين لغة ثانية.

وحول الدراسات السردية، فلقد قُدمت للمكتبة العربيّة العديد من الدراسات حول التقنيات السرديّة ومنها مفهوم الزمان والمكان، سواء كان في الرواية أو الشعر، ولقد تعمّد الكثير من الباحثين لدراستها في الرواية من حيث تفاعلها مع الحوادث، والشخصيات، وبوصفها للعلاقات، ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشديد الفضاء الروائي. ومن هذه الدراسات:

– دراسة أحمد زياد محبك (٢٠٠٥م) الموسومة بجماليات المكان في الرواية، إذ بيّن كيف يمكن للمكان أن يساعد على تطوير البناء في الرواية ولا يّعدُّ عنصراً زائداً، بل يمكن أن يكون هو الهدف من وجود العمل كله.

– وبيّن رابح الأطرش (٢٠٠٦م) في دراسته الموسومة بمفهوم الزمن في الفكر والأدب نظرة الفلاسفة إلى الزمن عبر مراحل تطوره واختلاف مفاهيمه إذ تناول هو هذه المفاهيم من وجهة نظر أدبية عامة وسردية روائية بشكل خاص.

– ويشرح مهدي ممتحن (١٣٨٨ش) في دراسته الموسومة بالزمن بين الأدب والقرآن، الزمن من نظريات مختلفة ومتنوعة ثم ينظر إلى الأيام وعددها على أساس نظريات العلماء الفرس والعرب ويدرسها في القرآن والشعر الجاهلي والعباسي والحديث.

– وبينت رقيه رستم پور ملكي (٢٠١١م) في دراستها الموسومة بتجليات المكان في شعر عزّ الدين المناصرة، كيفية تجليات المكان وكيفية تعامل الشاعر مع تلك التجليات. أمّا الزمان فتقول هو متعدد الأنماط متفرق الزوايا لذلك تعددت حوله الفلسفات والرؤى.

– وتقول ليانة بدر (٢٠١٥م) في دراستها الموسومة بـ "إغتراب الزمن (قراءة في رواية نجوم أريحا)" إنّ الزمن ذو فعالية أي أنّه بمثابة شعور قوي يترك دوماً أثره بغض النظر عن مدى سلبية أوإيجابية الأثر.

– ويوضح عبد الحكيم جابر (٢٠١٦م) في دراسته الزمان والمكان الإسطوري في الرواية، ما يحدث في الزمكان الفني الأدبي من حيث انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص.

وما نشاهده هو مجموعة من دراسات لمواضيع شتى تتعلق بكتاب الحسين لغة ثانية وبدراسة تقنيات السرد. فكانت الدراسات التي قامت حول كتاب الحسين لغة ثانية تتراوح بين دراسة الكتاب

دراسة رمزية، أو دراسات في حيّز الأدب المقارن، أو تطبيقاً لمضامين عاشوراء. أما دراسات تقنية السرد للزمان والمكان، فلقد آثرت هذه البحوث دراسة الزمان والمكان منفصلين في المؤلفات والأشعار، وفي النصّ الروائي، ودراسة نظريات الفلاسفة حول الزمن عبر مراحل تطوره، ودراسة المكان لتطور البناء الروائي، وجاء القليل من الدراسات حول انصهار علاقة الزمان بالمكان. دراسة الزمان والمكان ليس بالجديد على المكتبة العربية، فمنذ عهد بعيد والكتاب والباحثون يكتبون ويدرسون في كتبهم ورسائلهم العنصرين السرديين؛ الزمان والمكان كل على حدة أمّا ما استجد في هذه الوريقة البحثيّة هو دراسة نشأة الزمكان لهذين العنصرين المتلاحمين من حيث تسميتها بـ(الكرونوتوب) على أساس تسمية ميخائيل باختين، فضلا عن دراسة هذه التقنية في المنتج الملحمي إذ تعدّ من نوعها دراسة جديدة، فدراسة الحسين لغة ثانية كنصّ ملحمي تعدّ أول دراسة يقوم بها باحث حول هذا الكتاب، إضافة إلى تحليل الكتاب من زاوية التقنيات السردية واستخراج عنصر الزمكان منه، من منطلق هذا الأمر تستهدف الدراسة تحليل النص الملحمي، و تبيين كيفية دمج الزمان بالمكان في الصورة الشعرية والتصدي لاستخراج هذه الجمالية منه.

٢. الإطار النظري

٢-١. الفرق بين الملحمة والشعر الملحمي

الملحمة لغة: هي الحرب الشديدة، موضع الحرب، والملحمة الواقعة العظيمة (ابن منظور، ١٤١٤، ج٩: ٧٨١)

الملحمة إصطلاحاً: عمل قصصي له قواعد وأصول يذكر فيه الأبطال والملوك وآلهة الوثنيين، ويقوم على الخوارق والأساطير.

وفي المصطلح الأدبي جنس أو نوع خاص من الشعر القصصي البطولي الذي تعرف العربية شبيهاً له من حيث البناء القصصي المتكامل ومن حيث الحجم العددي للأبيات الشعريّة التي تبلغ الآلاف ومن حيث الشخصيات التي تسمو فوق المستوى العادي (كشاورز، ١٣٩٣: ٣). وتدور الملاحم حول شخصيات مصطفاة من العقيدة الدينيّة.

وتعتمد الملحمة بشكل أساسي على النقل الشفهي فتنقل عبر الأجيال عن طريق المنشدين ورواة القصص والشعراء القبليين و.. وكانت تقال على أنغام رتيبة، حيث يمكن التفريق بين الملاحم الابتدائية أي الشعبيّة، والملاحم الأدبيّة.

والملحمة هي من أهم الأجناس الأدبية، إذ إنها ترجع تاريخياً إلى العهود الفطريّة للشعوب، العهود التي كان الناس يخلطون فيها بين الخيال والحقيقة (المصدر نفسه: ٢). وهي قصة شعرية مليئة بالأحداث غالباً ما تقص حكايات شعب من الشعوب. يعتقد الباحثون المعاصرون أنّ (تاريخ

هوميروس) تاريخ تأليف القصائد بالنسبة لحياة شخص واحد، ويجمعون على أنّ الإلياذة والأوديسة تعود إلى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد، أو تبدأ من القرن الثامن حيث تسبق الإلياذة الأوديسة بعقود (ناكوت، ٢٠٠٠: ١٩). والإلياذة أقدم نص مكتوب في الأدب الغربي (ناجى، ٢٠٠١: ١٠٩).إنّ شعر الملاحم القديم قوامه القصص البطوليّة، والأعمال العظيمة الخارقة، والسرد الطويل المتشعب. إضافة إلى أنّ الشاعر يستخدم فيه الأشياء غير الحقيقية وبالأخص المبالغ فيها. وهو فن أدبي عريق في تاريخ الأمم والشعوب، يندر أن تخلو منه لغة من اللغات العالميّة غير أننا لا نقع في العربية إلّا على قصائد ومقطوعات ذات نفس ملحمي، أمّا الملحمة المطولة المتخيلة فليس لها أثر في ديوان الشعر العربي على الإطلاق. مع أنّ الملحمة ومشتقاتها قد وردت في الشعر العربي، فلقد قال الأخطل:

حتى يكون لهم بالطف **ملحمة** وبالشوية لم ينبض بها وتر

وقد ظل العرب يجهلونها حتى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حين بث سليمان البستاني في أدبهم أول روح ملحمية بعد أن ترجم الإلياذة إلى العربيّة (البستاني، ١٩٩٨: ٩٢). ولقد أنعشت بعض هذه القصائد الملحمية، الشعر الملحمي في الأدب العربي المعاصر وسدّت فراغه ومنها "كبار الحوادث في وادي النيل" لأحمد شوقي "على بساط الريح" لفوزي المعلوف (مختاري، ١٤٣٤: ١٢٦). وملحمة الغدير لبولس سلامة وهي أفضل ما يمثل الملحمة الحقيقة في الأدب العربي الحديث، وقد أجاد الشاعر في نضمها ورفع بها إلى مصاف الحسان من الملاحم الإفرنجية. ويعدّ أتصاف خيال الشعراء بالسمو والقدرة على الاختراع، والتوليد أو التحليق في عالم الماورائيات إحدى الشروط المهمة لنظم الملاحم، أما الشرط الآخر لها فهو السرد القصصي.

٢-٢. أقسام الشعر الملحمي

ينقسم الشعر الملحمي الى صنفين:

أ. الملاحم الغربيّة و اليونانيّة القديمة: وتمتزج فيها الأسطورة بالحقيقة والخيال بالواقع ويقوم بصناعة أحداثها أبطال خرافيون آلهة ونصف آلهة مثل (الياذة هوميروس).

ب. والملاحم العربيّة المستحدثة: تتناول صفحات من تاريخ الأمة العربيّة أو جوانب من حياة شعوبها متقيدة بالأحداث التاريخيّة ومقتصرة على الشخصيات التي كان لها الأثر في صناعة الأحداث مثل (إلياذة الجزائر، على بساط الريح وملحمة أحمد شوقي عن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وملحمة الغدير لبولس سلامة وهي أفضل ما يمثل الملحمة الحقيقة في الأدب العربي الحديث، وقد أجاد الشاعر في نضمها ورفع بها إلى مصاف الحسان من الملاحم الإفرنجية

وجاءت في٤٧ قصيدة في ٣٤٢٥ بيتاً وتشكل واقعة كربلاء الجزء الأخير منها (پيراني، ١٤٣٣:٢٥).

٢-٣. خصائص الشعر الملحمي

من أهم الخصائص والمواصفات الواجب توافرها في الشعر الملحمي كما يلي:

- يجب أن يدور الشعر الملحمي حول شخصية تتمتع بمكانة عظيمة.
- يجب أن تحظى الشخصية في الشعر الملحمي بأهمية أسطورية وتاريخية كما يجب أن يكون المكان الذي يتحدث عنه الشعر الملحمي في أحداثه مكاناً متسعاً جداً.
- يجب أن تتسم تصرفات البطل بالقوة والشجاعة الفائقة.
- يجب أن تتصف بالموضوعية أثناء سرد الوقائع وأن تكون شخصياتها مرسومة بصورة متقنة.

وتتميز الملاحم العربية بكونها لم تعرض حوادث خارقة أو تصور مخلوقات خرافيّة، حيث كان هذا الطابع الموضوعي يغلب على الملاحم الغربيّة القديمة.

وهناك أعمال مصنفة كملاحم على الرغم من عدم تطابقها كليّاً مع الخصائص التقليديّة المتعارف عليها لهذا النوع الأدبي، فمن هذا المنطلق نفسه نستطيع تصنيف العديد من النصوص كنصوص ملحميّة بسبب الأبعاد التأسيسيّة وأهميتها الكبرى في ثقافة شعب ما. ولقد بيّنا آنفاً أنّ السرد القصصي هو من ميزات الشعر الملحمي فمن هذا المنطلق نعرج على دراسة تقنيتين من تقنيات السرد أُدمجتا لتخلقا تقنية واحدة.

٢-٤. دراسة التقنيات السردية

٢-٤-١. الزمان

الزمن في معجم المصطلحات السردية لجيرالد برانس يعني مجموع العلاقات الزمنية مثل السرعة، التتابع والبعد و...(برانس، ٢٠٠٢: ص٢٣١). إنّ الحديث عن الزمن متشعب الفروع متعدد الأنماط متفرق الزوايا وتعددحوله الفلسفات والرؤى (أحمد عامر ، ٢٠١١: ص١).

يرى زايد بأن الزمن هو ذلك البعض الذي لا يتجزأ من كل الموجودات وكل وجوه حركتها ومظاهر سلوكها لذلك دقّ مفهوم الزمن كل الفلسفات تقريباً (زايد، ٢٠٠٥: ص١١).

يشمل الزمن ميادين كثيرة أخرى من الوجود البشري، ولا يقتصر بحقيقته على الأبد والخلود الذي بشرت به الأديان، ولا هو حركة توالي الليل والنهار والفصول المنظمة لبعض مظاهر الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، فللإنسان زمن يصيغه بنفسه ويخضع لإرادته وهو ضرب من زمن مطلق تنحدر فيه الموجودات من كل القيود الماديّة والطبيعيّة (المصدر نفسه: ١٢).

والزمن ذو فعالية أي بمثابة شعور قوي يترك دوماً أثره بغض النظر عن مدى سلبيته أو إيجابية هذا الأثر (بدر، ٢٠١٥: ٤٣٧). الزمن ذو أهميّة بالغة في حياة الانسان فهو محور الوجود وروحه الحقيقيّة والزمن ليس عنصراً غريباً على الإنسان وإنّما هو بُعد أساسي لحياته التي تُعدُ تطوراً وما التطور إلّا الزمن (إبراهيم، لا تا: ١٥٧). لقد شغل مفهوم الزمن أو الزمان تفكير الإنسان منذ تشكيل وعيه، وإبتداءَ إحساسه به سواء في نفسه أو في العالم المحيط به وبذلك اكتسى مفهوم الزمن مع تقدم التاريخ طابع العمق في المدلول تبعاً لرقي الفكر الانساني، وعمق وعيه بالاشياء والوجود. لقد ذكرت الدراسات أنواع عديدة لتقاسيم ومفاهيم الزمن ويذهب **ميخائيل باختين** إلى أنّ الزمان في الأدب ينقسم إلى نوعين:

١- الزمن الذاتي أو النفسي: وهو بصفته حقبة ذاتيّة تدخل في نسيج حياة الانسان. ويمكن للكاتب أن يتلاعب بالنظام الزمني بطريقة تكاد تكون لامحدودة.

٢- الزمن الموضوعي أو الزمن الخارجي وهو ما يتعارف عليه الجميع في الساعات والتقاويم (باختين، ١٩٩٠: ١٩).

٢-٤-٢. المكان

المكان يُعد وعاء للزمان، بل هو إطار لإسترجاع الصور الفنيّة للزمن الماضي، وهو الإطار للانتقال من أحلام اليقظة إلى الزمن الآتي المرئي، ويختلف تجسيد الزمان عن تجسيد المكان حيث إنّ المكان يمثل الخلفيّة التي تقع فيها الأحداث، وأما الزمان فيمثل الأحداث في نفسها وفي تطويرها (حسني، ١٩٩٩: ١٩٥). وهو يرتبط عضوياً بالشعور الإنساني في إطار جغرافي يعكس إنسجاماً أو تنافراً، لأنّه قد يكون مكاناً نفسياً مألوفاً، أو غريباً (بلاشير، ١٩٨٠: ٣١). وهو أكثر من منظر طبيعي وأثر حالة نفسيّة يستعاد عن طريقها التاريخ الشخصي المتجذّر في اللاوعي المرتبط بهذا المكان أو ذاك (المصدر نفسه: ٣١). ليس المكان ذلك المعطى الخارجي المحايد الذي نعبره دون أن نأبه به دائماً، فالمكان حياة لا يحده الطول والعرض فقط دائماً خاصيته الاشتمال (المونسي، ٢٠٠١: ١٦). ويرى "جاستون بلاشير" إنّ المكان في مقصورته المغلقة التي لا حصر لها يحتوي على الزمان مكثفاً (بلاشير، ١٩٨٠: ٣٩). والمكان تاريخياً أقدم من الإنسان، والإنسان بوجوده وكينونته فيه قام بتشكيله وتحويله إلى أشكال مختلفة حسب إحتياجاته الحياتيّة (الضبع، ١٩٩٨: ٦٠). ولقد منح المكان بعداً فلسفياً فأصبح المكان هو مايحل فيه الشيء أو ما يحتوي ذلك الشيء ويحده ويفصله عن باقي الأشياء (المصدر نفسه: ٦٠). يعيش الإنسان في عالم يتصف ببعدين أساسيين هما الزمان والمكان، ففيهما يحيى الإنسان وينمو الجنس البشري ويتطور، رغم إنّ الزمان والمكان عنصران متلازمان لا يفترقان فإنّ المكان ثابت على أساس

الزمان المتحرك وهو في ثبوته وإحتوائه للأشياء الحسيّة المستقرة فيه يدرك بالحواس إدراكاً مباشراً، والزمان يدرك من خلال الفعل إدراكاً غير مباشر.

إنّ أهمية المكان لاتخفى على أحد، لما يقوم به هذا المكون من دور رئيس في حياة الإنسان فمنه ينطلق وإليه يعود، أو ليست حياتنا ككل رحلة مكانيّة تبدأ برحم الأم وتنتهي بالقبر (حسين، ٢٠٠٣: ٦٦). وهو الموضع الحاوي للشيء وهو اجتماع جسمين حاوٍ.

٢-٤-٣. الزمكانيّة

المكان والزمان توأمان لاينفصل أحدهما عن الآخر مثلما تؤكد ذلك مختلف التصورات الفلسفيّة الحديثة والمعاصرة وخاصة تصورات فيلسوف المكان والزمان والألوهيّة (صاموئيل الكسندر)[١] والفكرة الأصليّة له هي أنّ الحقيقة القصوى التي تتولد عنها سائر الأشياء هي الحقيقة المكانية الزمانية، وقد جمع هذا التصور بين هذين البعدين إلى الحد الذي أصبحا العماد الذي تقوم عليه جلّ العلاقات التي ينتظم حولها الكون في التصورات الفلسفيّة والنظريات العلميّة (إبراهيم، لا تا: ١٥٧). يخلق باختين[٢] على العلاقة المتبادلة الجوهريّة بين المكان والزمان المستوعبة في الأدب إستيعاباً فنيّاً إسم الـ(كرونوتوب)[٣] أو الزمكان الذي يعني حرفياً الزمان والمكان، ويذهب إلى أنّ علاقات الزمان تنكشف في المكان والمكان يدرك ويقاس بالزمان هذا التقاطع بين الأنساق وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان (باختين،١٩٩٠: ٥-٦). فالزمكانيّة مصطلح منحوت من كلمتي الزمان والمكان، وإدغامهما يعطي إنّ فكرتنا عن الزمان تأتي مختلطة دائماً بفكرتنا عن المكان فهذان البعدان متلاحمان في حقيقة الأمر والمكان هو القرين الضروري الملازم والمتمم للزمان ولا يمكن تصور أية لحظة من لحظات الحياة أو أي حالة من حالاتها دون إدراجها في في سياقها الزماني ووضعها في مجال ما إلّا أنّه عاجز ما إن إرتبط بالمكان الذي تجري فيه أحداث الزمن (إبراهيم،٢٠٠٢: ٩). إنّ الزمان هو الذي يمنح المكان خصائص وهو عاجز تماماً إلّا إذا ارتبط بالمكان يوضح غاستون بلا شير في رؤيته الفلسفيّة القاضية بتلازم المكان والزمان، والتي يؤكد فيها على التوافق البطيء بين الأشياء والأزمان بين فعل المكان في الزمان ورد فعل الزمان على المكان. (المصدر نفسه: ٩). ويرى هذا جيرار جينيت أيضاً فيذكر أنّ الزمان مرتبط بالمكان الذي يجري فيه الحدث (الشيخ أمين، لا تا: ٢٠).

ولما كان المكان المساحة التي تنعكس فيها الأحداث الزمنيّة بوصفها نقطة تحفيز المكان، وتحولاته، وفيوضاته العاطفية فإنّ خصوصية المكان تكمن في المؤثر الزماني، وخصوصيات الزمان تكمن في المؤثر المكاني تبعاً لعلاقة الألفة التي تجمع بينهما (لوتمان، ١٩٨٦: ٨٦).

٣. دراسة النص

٣-١. الحسين لغة ثانية

إنّ الرمز الحسيني يمتد فوق الزمان بنبضاته فهو تجسيد لصراع الحق مع الباطل هذا الصراع الذي لا يحسم أبداً. يقول محمد جواد مغنية: «ما عرفت البشرية جميعاً، عظيماً قيل فيه الشعر ما قيل في الحسين بن علي (عليه السلام) ولوتصدّى متتبع للمقارنة بين ما نُظم فيه ونُظم في عظماء الدنيا لتعادلت الكفتان أو رجحت كفة الحسين» (شبر، ٢٠٠١، ج١: ١٠). إنّ الرثاء الحسيني عطاءً بدأ بعد قليل من تلك الواقعة والتي كانت أخصب عصروره، المدة الواقعة ما بين استشهاده (عليه السلام) وبين نهاية الدولة العباسية وهذا العطاء ما زال متدفقاً حتّى عصرنا هذا، في أشعار الأدباء (پيراني، ١٤٣٣: ٤٦).

قصائد جواد جميل تعجّ منها رائحة الملحمة لا الرثاء أو المدح حيث يتمنّى جواد جميل أن لا يتلقّى القرآء ما أنشده مدح أو إطراء (نجفي، ١٣٩٢: ١٢٦) يقول جواد جميل: «هذه الملحمة التي كتبتها هي حالة أتمنى أن يقرأها القارئ بلا بُعد مدحي أو إطرائي لأني أمام شخصية فاقت المدح والإطراء وكلمات القاموس الجميلة» (http://baharinonline.org).

إنّ أسلوب كل شاعر مرتبط بمفهومه إزاء الشعر وإزاء عصره وقضاياه(جليل إسماعيل، ٢٠٠٩م: ٨٩). يبدأ الكتاب وكعهدنا بكل كتاب بالإهداء ثم قصيدة البداية، ثم يُقسم القصائد إلى أربعة أقسام، الرؤى، والمشاهد، والأبعاد وفي أبعاده يتطرق إلى الشخوص في واقعة الطف دون ذكر الأسماء والنبوءآت، حيث يستخدم الشاعر في قصائده الصور البلاغية في استقطاب المخيّلة الأدبيّة لتردفها صورا تتداعى وتتراكم لتؤسس لوحة لهذا الحدث المأساوي فتسيطر على لب الشاعر فهي لم تفارقه حتّى استلت منه هذا الإبداع المميز.

يرسم جميل بريشة أشعاره لوحات تنطق وتعزف مضامينه أنغاماً تتبع أفكاره الثائرة وعصيان روحه على الظلم، وتطوعه الكلمات ويكون قلمه رهن إشارة أفكاره، لينسج سداها حتى يوصل رسالته كثورة بركان إلى الأذهان.

٣-٢. الإهداء

تعوّدنا أن نرى في مقدمة كل كتاب الإهداء حيث يُهدي الكاتب كتابه أو قصائده إلى من يحب ولكنّ شاعرنا إستهل كتابه بهذه الجملة: «**لن أهديه لأحد لأن (ألم) مازالت خائفة/ والأخضر الذي إرتدى الغياب لم يعد بعد.**» (الجميل، ١٩٩٦: ٥)

إنّ من الواجب أن يُهدى هذا الكتاب لصاحب عنوانه، ولأنّ الجراح مازالت تنزف في مخيلة الشاعر والخوف لم يهدأ والأنين لم يسكت، والانتظار مازال نظرات على الطريق، فربما سوف يهدى الكتاب لو عاد الموعود، لترتبط ثورة الحسين بقيام الغائب. يربط شاعرنا ملحمته بملحمة أكبر،

ظهور الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف). وتقنية الزمان تكشف النقاب عن زمن غير محدد ولقد ذكره باختين باسم الزمن الذاتي ذلك الزمن الذي يرسمه الشاعر، ثم يصور بكلماته طول الزمن، فكل إنتظار يعدُّ زمناً طويلاً. أما المكان فلم يمتزج مع الزمان وبدا الزمان لوحده فلم نر للزمكانية من حضور بداية.

٣-٣. البداية

يفتتح شعر جواد جميل الملحمي باسم بطله ليسرد في (البداية) الواقعة..لم يكن الحسين طالباً للحرب بل خرج طالباً للإصلاح في أمة جده وأوقفوه بشط فرات: «**يبدو الحسين يُغطي سيفه بورد النهر**» (المصدر نفسه: ٧) فهو لم ولن يكن طالب حرب: «**تظهر خلف الأفق عاصفة**» (المصدر نفسه: ٧) توحي هذه الكلمات بشدة وقع الواقعة: «**ما زلت أحمل أكفاناً/ ممزقة/ وحفنة من رمالٍ خبأت وجعي/ أمشي وخلفي تمشي ألف عاصفة/ كأنّها وُلدت في كربلاء معي**» (المصدر نفسه: ٨-٧) يطلبون منه الحرب أو الاستسلام فهو يخبئ آلامه ولكن صرخات الحرب لا تفسح له مجالا فالعاصفة ستجرفه معها. وما أصعب وقع هذه العبارات: «**غيمةٌ هبطت ليلاً تفتش بين الرمال عن دمه الضمآن/ ضمأى تشظّى لديها الماء واشتعلا/ السيف ينزف ماءً/ قلتَ وارتجفت كف الزمان، فهل أنت الذي قُتلا**» (المصدر نفسه: ٨-١٠) يستمر الشاعر فينظم مفاهيمه راسماً حالة العطش وخجل الماء من عطشه وعطش أصحابه الغُر وينتهي في بدايته إلى:

«وفي **ارتجافة موتي غيمة وبأشلائي مخاضات صبحٍ لَمّها جسدٌ**
عيناي صمتٌ غريبٌ، خلفه لغة أخرى .. وأشرعة تنآى وتبتعد
صوت يجي: رأينا الشمس تحمله في لحظة قد توارى عندها الأبدُ!» (المصدر نفسه: ١٠).

نرى الصور الملحمية في: «**غيمة هبطت ليلاً/ تشظّى لديها الماء واشتعلا/ الشمس تحمله/ توارى عندها الأبد**» صور من وقع الخيال تستنزف النفوس ولكنّها صور غريبة عن الواقع تنعكس في الإستعارات. وهو يبالغ في رسمها كما يطلب منه النص الملحمي ويعظم من شأن البطل حين تحمله الشمس وحين يتوارى في تلك اللحظة الأبد وفي الواقع لا يبالغ شاعرنا لأنّ بطلنا تستحي العظمة من اسمه فكيف بشمائله. ويستمر السرد لنرى الزماكانية في أوج حضورها، المكان واسع مفتوح (النهر، خلف الأفق، ومكان صغير يتمثل في حفنة من رمال، ومكان واسع دون حدود، أمشي وتمشي خلفي ألف عاصفة، كربلاء، غيمة، بين الرمال، صحرائي، النجم، عيناي، الأشرعة، تنأى وتبتعد) كل هذه الأمكنة التي يذكرها الشاعر، نرى تبلور الزمان وامتزاجه فيها واضحاً جلياً. حيث لا يمكن تفكيكهما عن بعض. فعندما تظهر من خلف الأفق عاصفة يغطي

الحسين سيفه بورد النهر، يخبأ آلآمه في حفنة رمال، العاصفة ولدت في كربلاء الغيمة والليل والأمس خطوي يطارد الصحراء، ربيعاً يتلون النجم منه، موتي والغد، والصبح وفي ذلك النأي والبعد لحظة توارى عندها الأبد. ففي كل هذه الصور الفنية نرى المكان الذي هو الحيز الذي تجرى فيه الأحداث، وهو يحظى بأهمية قصوى فهو المفتاح للولوج إلى فضاء النص إن الزمن الإبداعي زمن منفتح على رؤى عديدة فيمتزج الزمكان الكرونوتوب إمتزاجاً لا يمكن تفكيك عراه.

٣-٤. الرؤى

دعم الشاعر أبوابه الأربعة بإيقاعات انتبه إلى ضرورة تنويعها لتتماهى مع اللغة الجديدة التي ينشدها مدركاً أهمية هذا التنويع في عدم تسلسل الرتابة لقارئه حيث جاء تموج الإيقاع إستجابة لنقلات نفسيّة يُمليها مناخ القصائد وما يطرأ عليها من تحولات: «**أراد أن يقول/ شيئاً عن الفاصلة البلهاء/ فأستسلمت الأشياء للذهول**» (المصدر نفسه: ١٣) الحسين صرخة أرادت أن توقظ النائمين وشتان بين النائم وبين من أسلم وجوده لنوم لا يريد الإستيقاظ منه، وصرخة الحسين هزت كيان العالم بأسره: «**أراد أن يطفي عواء الريح/ فصاح يا أمطار هذا الأفق المسلول/ مرّي على خيمتنا/ فخبأت خلف الضباب وجهها/ وسمّرت غيومها الفصول/ وبعدها أراد أن يقول/ لا تولدوا/ لا تولدوا في زمنٍ مقتول!**» (المصدر نفسه: ١٤-١٥) نرى الصور؛ صوراً خارقة المضامين غير متعارف عليها تتحدث عن واقعة حيرت العقول حتى أوصلتها إلى الذهول هذا المضمون الملحمي يحمل بين طياته جماليات السرد أيضاً نرى أنّ هدف البطل في الملحمة ليس فرداً يمثل كلية غنية بذاتها، واتّحد الزمان الذاتي بالمكان في الخيمة والزمن المقتول.

وفي الرؤيا الثانية يقول الشاعر:

«هل كان للأشجار أوردةً فيها لموج النار ميناء؟
وهل كان للغيم إحتراقته، وله توابيت وأشلاء
وهل التوى جسد النهار على طعناته والشمسُ عمياءُ؟
الريح قافلة ..وصرختها جرس.. وهذا الكون صحراء
لهدوئه لغة .. ملونة ولموته صور وأسماء
ولوجهه رغم انطفاءته أشياء بارقة .. وأشياء!
بعيونه تبكي ملائكة وبجرحه يتوضأ الماء!!» (المصدر نفسه: ١٦-١٧).

بإمعان النظر في ما سبق نجد أنّ الكلمات توفى بالغرض، فصرخته أيقظت العالمين ممن رغب، وسكوته لغة أخرى أفصح من الكلام، وأوضح من وقع الكلمات، ودمه الطهر أطهر من الطهر حيث يتوضأ الماء الطهر به. تبدو علينا علامات الذهول! أي نص ملحمي يصل إلى علياء

وصف الممدوح كهذا وبقول الشاعر ليس وصفاً أو إطراء وإنما هي غاية الحقيقة. بجراحه ....تراني تعجز كلماتي عن الشرح، فأي بطل ملحمي يتوضأ الماء بدمه الطهر، ويكون سكوته لغة، وموته صور، وإنطفاء وجهه بريق، كل هذه المفارقات ترسم بطلاً ملحمياً لا يدانيه مثيل ولا يصل إلى ذروته ندّ. ولا نرى سطوة بارزة للزمكان هنا سوى في الجمع بين (الميناء والتوابيت والصحراء) حيث يظهر فيها المكان المفتوح والمغلق معاً ولا نرى للزمان حضوراً إلّا في النهار.

ما يمكن أن نستشفه من حضور الزمكانية فهو في الأبيات التالية إذ يقول الشاعر في الرؤيا الثالثة: «**صمته مأذنة/ والجراح قناديل من وهجٍ/ والسيوف انطفاء/ هكذا تخشع الأزمنة/ فوق أقدامه/ وتؤدي الفصول طقوس البكاء**» (المصدر نفسه: ١٨-١٩) إنّ جراحه هي التي بقيت شموعاً من نور تضئ دروب العاشقين، فلقد ولّى زمان واقعة الطف وانطفت وهجات الأسنة ووقعها، وبقى الحسين صدىً يردد على مر العصور، فهل رأيت عظيماً هللته الأزمنة كالحسين؟ وهل سمعت بعظيماً كبرته القلوب كالحسين؟ نرى المفارقة بين الصمت والمأذنة، والسيوف والانطفاء إنّ الملحمة تعظم البطل وتبين فضائله، ويعقب الشاعر على حضور هذه الجماليات بحضور الزمكانية في خشوع الأزمنة فوق أقدامه. إنّ القيمة للزمن لا تتحقق إلّا من خلال تفاعله مع المكان حيث لا نستطيع فك عرى الزمان من المكان ونراهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً لا يمكن فسخه في هذه الصور الشعرية.

ومن تجليات الحضور الملحمي وجماليات الزمكان ما نجده في الأبيات التالية إذ يقول الشاعر في الرؤيا الرابعة:

«يبدأ الحزنُ فجأة، تبدأ الدمعة فصل الطفولة الأبدية
ترتدى لحظة البكاء عمى الليل وبُقيا نجومه الخزفيّة
ليس في البحر غير أوردة الملح وصمت المرافئ المنسّه
ليس فيه سوى غموض رمادي وما خبّئت عيونُ الضحية
ينتهي الحزن فجأة، تأخذ الدّمعةُ بعد الرؤيا، ولونَ الشظيَّة
ويكون الحسين أول حرف جرح الصمتَ في حروف الأبجدية» (المصدر نفسه: ٢٠-٢١-٢٢)

الحسين أول ثورة وآخر ثورة يصل صداها إلى أقصى الأرض، أول ثورة أطهر من الطفولة البريئة. ملحمة كربلاء واضحة المفاهيم ليس فيها غموض يشير الشاعر إلى اللون الرمادي، وهو اللون القاتم، فواقعة كربلاء شفافة اللون ليس فيها غموض ولكننا نرى الغموض في الصمت الذي يترك أسئلة تطلب الإجابات، نرى الحضور الملحمي تجلى خلال هذه الأبيات وتبدو جماليات الزمكان،

في البداية والنهاية والليل والنجوم والبحر والمرافئ. إنّ المتخيل الزمكاني خليط من أقصى حدود الزمان والمكان، الزمن الذاتي الذي يحقق بتوحده مع المكان الكرونوتوب ويستمر شاعرنا في سرد الرؤى ويصل إلى:

«الحسين انحنى على صدره الرمحُ وصلّت على يديه الجروح
لست وجهاً من الرماد، ولا الارضُ دخاناً، حتى تضيعَ السفوحُ
هبطت لحظة الفجيعة .. جرحٌ دَبِقٌ يغتلي .. وتخفق روح
وخيول تمزق الجسد الأخضر .. تغدو مخبولةً، وتروح
النهار انكسارة، وشحوب الأفق ضمآن، والفضاء جريح!
غادري يا نوارس الماء، هذا زمن ميت الروئ، مذبوحُ
الضحايا تدقّ بوابة الوحشة فيه تدقّها .. وتصيحُ:
سيجيء الحسين يوماً، يجيء البحرُ في خَطوه ... يجيء المسيحُ» (المصدر نفسه: ٤٩-٥١-٥٠).

يحيط بالمشهد من كل الجوانب ويصل إلى ذروة التعبير فبين رسم الصور الملحمية الخارقة للبطل الذي ينحني على صدره الرمح إجلالاً وجروح تُصلّي، وبين خيول ترض الجسد الطاهر فتجنّ من فعلتها، وشحوب الأفق وانكسار النهار وجروح الفضاء إلى نزول المسيح حيث يربط ملحمته بملحمة أخرى رجعة الحسين ونزول المسيح. وفي روعة التعبير يبرز الكرونوتوب ليتوج الصور بأدق التفاصيل فالصورة المدمجة معاً كفيلة بإيضاح معالم جماليات السرد. فمن (الصدر والجروح والارض والسفوح وبوابة الوحشة إلى لحظة الانحناء والطلاة ولحظة الفجيعة وخفق الروح وانكسار النهار ومغادرة النوارس والزمن الميت والحياة من جديد، وذلك إيماناً بمبدأ رجعة الحسين (عليه السلام) ونزول المسيح (عليه السلام) والجدير بالذكر هو تكثف جمالية الزمكان فالزمان هنا غير مرتبط بتأريخ معين تضاف إليه حدودها المفتوحة ينصهر في المكان اللانهاية ، ويبرز الزمكان دون تفكك عراه بل نرى اتصاله المحكم الذي يكسوه حلية أجمل من جمالياته.

٣-٥. المشاهد

ينتهي الشاعر من الرؤى حتى يبدأ بالمشاهد وهذه المشاهد مرآة تعكس واقعة الطف يستهلها: **(يا سيوف خذيني)** الشعار المخلد الذي يسمع دويّه حتى اليوم ويستهله بـ **«من يمنح الطفلا/ قطرة ماء مرةٍ ؟/ من يمنح الطفلا؟/ فليس في خيمتنا شيء/ سوى جنائز القتلى!/ وقبل أن أملأ كفي من دم الرضيع/ رأيت خلفَ وجهه/ نافورة من ألم فظيع/ رأيت في عيونه،/ فراشة تصلب في مقبرة الربيع»**. (المصدر نفسه: ٥٧-٥٨) تشرح المشاهد أحداث الواقعة من بيان الإمام لأسباب

خروجه إلى طلب قطرة ماء للرضيع وهذا السرد المتتالى يشرح لنا تتالي أجزاء الملحمة التي بدأها الشاعر، آثراً أن يستفيد من جماليات السرد فيدمج الزمان بالمكان في (خيمتنا وقبل، مقبرة وزمن الصلب) حيث ينصهر الزمان في المكان خالقاً وحدة لا يمكن تفكيكها وكما يشير باختين إن الكرونوتب هنا جاء متلاحم الأبعاد.

ويستمر في مشاهده ليصل إلى: «**الفرات المكّفن يصلبه ضمئي/ حنانيك ما عاد للطين معنًى/ ولا البحر أزرق/ لأنّك غيّرت أشياءها/ وتمردت في زمن يتمزق**» (المصدر نفسه: ٦٩) نرى جمالية الزمكان تجتمع في صورة يخلقها الشاعر متفرداً بخلقها بتعبير نقف مذهولين أمامه (الفرات المكفن يصلبه ضمئي) حيث يذوب الزمان في المكان دون أن يلتفت القارىء إليه.

ونحن نستشف حضور اللون الملحمي في هذه المقطوعة من الأبيات:

«ينحني الماءُ، وتنحني قامةُ الموجِ خشوعاً .. وتصمت الشُطآن
عُمُرُ النهر لحظةٌ من عذابٍ تنطفيء فجأة، ويخبو الزمانُ
ليظل الحسين صمت حكاياه مخاضٌ .. وصوته طوفانُ». (المصدر نفسه: ٧١)

نرى السرد في الصورة الملحمية يستمر ليمجد البطل في واحدة من أروع الصور، في انحناء الزمان وانحناء قامت الموج وصمت الشُطان وخبو الزمان إجلالاً للبطل فمع صمته في تلك الواقعة الملحمية ظل صوته بركان ثائر دوماً وأبداً. إنّ الزمكان تجلّى في المقطوعة فصورها فنسمع وقع أقدامه وتبرز قوة الزمن وفعله المؤثر في المكان. ويستمر في وصف الصورة الملحمية للبطل:

«ينحني الموت بين كفيه مذعوراً وتبكي الخيول والنيرانُ
غير أن الحسين قلب يرفُّ النهرُ فيه، وينبض الريحانُ» (المصدر نفسه: ٨٥)

فما أعظم هذا البطل الذي ينحني الموت وترتعد فرائصه من شجاعته.

٣-٦. الأبعاد والنبوءات

صورة ملحمية أخرى رسمها الشاعر لبطل الملحمة ثم ينتهي من مشاهده ليرسم للواقعة **أبعاداً** يسميها **البعد الثابت** ففي البعد الأول يشير إلى الذين قاتلوا مع الإمام الحسين، فاكتشفوا أنّ قطرة الدم أكثر بريقاً من قطرة الضوء، و**البعد المتغير** نموذج هذا البعد الحر إبن يزيد أحد قادة الجيش الأموي الذي انتقل إلى جانب الحسين في اللحضات الأخيرة، ليكشف الجراح والورد، و**البعد الخائف** نموذج هذا البعد عبد الله الجعفي الرجل الذي أدرك الحسين قبل المذبحة. فخاف القتل وقبل أن يهرب أهدى الحسين سيفه وفرسه، فرفض الحسين الهدية لأنها لم تكن منقوعة بالدم و**البعد الأسود** ونموذج هذا البعد هو شمر ابن ذي الجوشن، و **البعد الوهمي** ونموذج هذا البعد عمر ابن سعد قائد الجيش الأموي الذي كان يحلم بولاية الري بعدمقتل الحسين، إلّا أنّ حلمه هذا لم يتحقق،

و**البعد المشوه**، ونموذج هذا البعد مالك ابن النسر الذي شتم الحسين وطعنه وهو يحتضر، وظل حتى آخر عمره يحس أنّ في أذنيه ما يشبه فحيح الأفاعي، و **البعد الرمادي** ونموذج هذا البعد شبث بن ربعي، الذي بايع الحسين ثمّ نقض بيعته وأصبح أحد القواد الأمويين، إلّا أنه ظل مسكوناً بالخوف والجنون، و**البعد الدموي** نموذج هذا البعد حرملة بن كاهل الذي رمى طفل الحسين فذبحه، وبقي بعد ذلك هارباً في أزقة الكوفه خائفا من عيون الأطفال، و**البعد المظلم** نموذج هذا البعد سنان بن أسد الذي حمل رؤس القتلى إلى الكوفه، وكان يشعر أنّ جسده يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى عقرب كبير، و**البعد المجنون** هم رجال الجيش الأموي ففي كل بعد يتمثل برجال من الذين قاتلوا مع الإمام الحسين أو قاتلوه وبهذا يستمر في سرده الملحمي للذين قاتلوا الإمام (عليه السلام) حتى يدخل في النبوءآت: «**ويكتب الزمان/ تاريخ موت الماء فوق جثة الدخان/ ستولد ساعة ذبحي/ عصافير ماءٍ عرايا/ تقبل جثة طفلي القتيل/ وتغمرها بالرؤى والحكايا!/ لم يزل في وريد الحسين المقطع نبض! يا أيها الممتد بين الضوء والدم/ والمكفَّنُ بالغبار/ ظمئَت إليك الأنهرُ الخجلى/ ومن يدري لعلّ دمي سيفتح الف بوابة**» (ينظر: الجميل، ١٩٩٦: ١٢٨-١٢٩-١٤٥-١٤٨-١٥٦).

في جميع ما مرّ نرى تلاحم الزمكان جلياً واضح الزوايا والأركان في بيان للزمن الذاتي المفتوح واشتباكه مع المكان، ونرى في الزمان حالة استمرار أبدي، والسرد الملحمي مازال يحمل صوراً أغرب من واقع الخيال يستمر في سرد الواقعة، وبيان حال الطفل الرضيع إضافة إلى بيان حال البطل حيث الأنهار خجلة من عطشه ظمآنة هي، وهي تحمل بين شاطئيها الماء مفارقة مذهلة المعنى رائعة البيان إلى أن يشرح النبوءة الأخيرة: «**لم تزل بين جرح الحسين،/ وبين قصائدنا ../ مدنٌ قانيَه/ ولكي نقرأ الجرح، لا بدّ من لغة ثانية!!**» (المصدر نفسه: ١٦٠) حيث يطلب لفهم الملحمة الحسينية لغة أخرى يطلب فيها الانتقال بالشعر الحسيني إلى آفاق جديدة تبين القصائد التي كتبت وبين جرح الحسين رؤى مستقبلية لا يتم اكتشافها إلّا بلغة جديدة مغايرة تؤسس لمفاهيم حداثية.

مازال الحديث طويلاً في هذا الباب ولكن ما جزمنا اليه هو أنّ الشاعر في قصائده وفي بيانه الملحمي استطاع أن ينقل صورة ذلك الحدث المأساوي وبإيجاز التعبير في الصور الشعرية مع الاستفادة من المصطلحات المعاصرة في البيان الملحمي، ونرى أن المضامين لم تعد كالأمس يغلب عليها القالب الرثائي بل أصبحت مضامين جديدة ترتدي الرمز وشاحاً لها ولقد قدم الشاعر في مجموعته عبارات يراها مناسبة لتصدير قضية الحسين بروح جديدة وكأنه أراد لها أن تكون كاتبة ومكتوبة في ذات الوقت. (لغة ثانية).

النتائج

– لقد إستطاع الشاعر أن يبين بتعابيره وتصاويره الشعرية الخلابة سرد بطولات الحسين وأصحابه بلغته التعبيرية هو لا بلغة الأساطير البالية.

– استلهمنا مما قمنا بدراسته أنّ الفن الملحمي يمكنه الحضور في أطر جديدة غريبة عليه. ويمكن للأدب المعاصر أن يحتضن الفن الملحمي.

– كانت هذه المقطوعات للشاعر جواد جميل جديدة على هذا النوع من الدراسات. ربّما لايحظى دارس هذا الكتاب بالسرد المتسلسل الذي يرمي إليه الفن الملحمي ولكنّه وببيان جديد حاول ولو بمقتطفات ودون نظم خاص الإشارة إلى هذا التسلسل، ولكننا نرى التفكك فيه.

– إنّ السرد الملحمي يخضع إلى بيان الصفات الخارقة للبطل والشاعر رسم صور أغرب من الخيال لعظيم كربلاء. جماليات الزمكان كان لها حضوراً مشهوداً في المقطوعات ولا نرى تفكك عرى الزمان والمكان في الأبيات إلّا نادراً.كما أضاف انصهار الزمان في المكان جماليات أخرى إلى السرد المميز في الصور التي رسمها الشاعر.

المصادر والمراجع

إبراهيم، زكريا، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ج١، دار مصر للطباعة، القاهرة، لاتا، ص٩–١٥٧.

ابن منظور، محمد إبن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار الصادر، بيروت، ١٤١٤ق، ص٧٨١.

الأطرش، رابح، مفهوم الزمن في الفكر والأدب، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر، ٢٠٠٦م، ص ١.

باختين، ميخائيل، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يونس حلاق، منشورات وزارة الثقافة الفنية، سورية، ١٩٩٠م، ص٥–٦–١٩.

باويه، صلاح الدين، الحس الملحمي في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر دراسة تجليات الإلياذة، جمالياتها ودلالتها، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج خضر، الجزائر، ٢٠١٤م، ص٢.

برانس، جيرالد، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزن دار، ط١، المجلس الأعلى الثقافي، لبنان، ٢٠٠٢م، ص٢٣١.

البستاني، سليمان، الإلياذة والشعر العربي، دار المعارف، تونس، ١٩٩٨م، ص٩٢.

بلاشير، غاستون، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا مجد، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م، ص٣١–٣٩.

جميل، جواد، الحسين لغة ثانية، ط١، مطبعة أمير، قم، ١٩٩٦م، ص٥–١٦٠.

جميل، جواد، أشياء حذفتها الرقابة، ط١، دار الفرات، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣.
حسين، فهد، المكان في الرواية البحرينية (دراسة نقدية)، ط١، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ٢٠٠٣م، ص٦٦.
زايد، عبد الصمد، مفهوم الزمن واغترابه، لا مك، ٢٠٠٥م، ص١١-١٢.
سلامة، بولس، عيد الغدير، ط٤، المؤسسة الثقافية لهيئة أنصار الحسين (عليه السلام)، بيروت، ١٩٩٠م، ص١.
شبر، جواد، أدب الطف أو شعراء الحسين (عليه السلام)، ط١، مؤسسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٠.
الضبع، مصطفى، إستراتيجية المكان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٦٠.
ناكوت، فيدال، قصائد هوميروس ومشكلة تعدد الصياغات، لا مك، ٢٠٠٠م، ص١٩.

المصادر والمراجع الفارسية

غريو، ناجى، شعر هومر و مشكل فرمولاسيون چند گانه، مجلة فلسفه كلاسيک، العدد٩٦، ٢٠٠١م، ص١٠٩-١١٩.
نجفي، رضا، الملحمة الحسينية في رحاب الأدب المقارن «نظرة إلى مجموعة أشعار (الحسين لغة ثانية) و(گنجشک وجبرئيل)»، مجلة بحوث في الأدب المقارن، السنة٣، العدد١١، ١٣٩٢ش، ص ١١٥-١٣٤.

المجلات

أحمد عامر، عامر، الزمن في الشعر العربي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد٥٤٤، ٢٠١١م، ص١-٢٠.
أمين، طريف الشيخ، القصّات التحليل البنيوي في علم النقد القصّي، مجلة الموقف الأدبي، العدد ٢٣٧، ٢٠١٩م، ص ٢٠-١.
أنصاري، نرجس، معالجة الرمزية في أشعار جواد جميل، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٢٨، ١٣٩٢ش، ص٣٩-٦٠.
إسماعيل، جمال جليل، نحو رؤية لدراسة أسلوبية في الشعر العراقي الحديث، مجلة دراسات تربوية، العدد ٥، ٢٠٠٩م، ص ٨٥-١١٨.
بدر، لليانة، اغتراب الزمن (قراءة في رواية نجوم أريحا)، مجلة المخبر، العدد ١١، ٢٠١٥م، ص٤٣٥-٤٥٠.

پيراني، علي، رثاء الإمام الحسين في ملحمة عيد الغدير، مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، السنة ١٥، العدد ١، ١٤٣٣ق، ص ٢١-٣٩.

جابر، عبد الحكيم، الزمان والمكان الأسطوري في الرواية، مجلة الرواية درب إلى الحياة، العدد٣٥، ٢٠١٦م، ص٤٠-٦٠.

رستم پور، رقية، تجليات المكان في شعر عز الدين المناصرة، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية، العدد ١٨، ٢٠١١م، ص ١٧-٣١.

رستم پور، رقيّة، انعكاس القيم الثوريّة في الشعر الحسيني المعاصر، مجلة الإصلاح الحسيني، العدد ١٧، ١٣٩٥ش، ص ١-٢٠.

لوتمان، يوري، مشكلة المكان الفني، ترجمة: سيزا قاسم، مجلة ألف الصادرة عن الجامعة الامريكية بالقاهرة، العدد ٦، ١٩٨٦م، ص٨٦.

مختاري، قاسم، على بساط الريح الرائعة، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ٩، العدد١، ١٤٣٤ق، ص١٢٣-١٤٤.

ممتحن، مهدي، الزمن بين الأدب والقرآن، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة٢، العدد٥، ١٣٨٨ش، ص ١٤٩-١٦٧.

المواقع الإلكترونية

Aladab.m;hanbbog.com

References

Al-Atrash, Rabeh, The Concept of Time in Thought and Literature, Master's Thesis, Faculty of Human Sciences, Department of Arabic Literature, Mohamed Khudair University, Biskra, Algeria, 2006, p. 1.

Al-Bustani, Suleiman, The Iliad and Arabic Poetry, Dar Al-Maaref, Tunisia, 1998, p. 92.

Ahmad Amer, Amer, Time in Arabic Poetry, Islamic Awareness 1-20. Magazine, Issue 544, 2011, p.

Al-Dabaa, Mustafa, The Strategy of Place, General Authority for Cultural Palaces, Cairo, 1998, p. 60.

Amin, Tarif Al-Sheikh, Narratives: Structural Analysis in the Science of Narrative Criticism, Al-Mawqif Al-Adabi Magazine, No. 237,2019, p1-20.

Ansari, Narges, Treating Symbolism in the Poetry of Jawad Jamil, Journal of the Iranian Society of Arabic Language and Literature, No. 28, 1392, p 39-60.

Badr, Lilyana, The Alienation of Time (A Reading of the Novel Stars of Jericho), Al-Makhbar Magazine, Issue 11, 2015, p. 435-450.

Bakhtin, Mikhail, Forms of Time and Space in the Novel, translated by: Yunus Hallaq, Publications of the Ministry of Artistic Culture, Syria, 1990 AD, pp. 5-6-19.

Baoué, Salah al-Din, The Epic Sense in Modern and Contemporary Algerian Poetry, Study of the Manifestations of the Iliad, Its Aesthetics and Its Meaning, Master's Thesis, Colonel Haj Khidr University, Algeria, 2014, p. 2.

Beranie, Ali, Lamentat F. Imam Hussein in Eid al-Ghadir Ibik, Horizons of Islamic Civilization Magazine, Year 15, S1, 1433, p. 21-39.

Blachaire, Gaston, Aesthetics of Place, translated by: Ghaleb Hilsa Majd, 1st edition, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, 2006, pp. 31-39.

Ghario, Naji, Homer's poem and the problem of multiple formulations, Classic Philosophy Magazine, No. 96, 2001, p. 109-119.

Hosain, Fahd, Place in the Bahraini Novel (Critical Study), 1st edition, Faradays Publishing and Distribution, Bahrain, 2003, p. 66.

Ibrahim, Zakaria, Studies in Contemporary Philosophy, Part 1, Misr Printing House, Cairo, Lata, pp. 9-157.

Ibn Manzur, Muhammad Ibn Makram, Lisan al-Arab, 3rd edition, Dar al-Sadir, Beirut, 1414 BC, p. 781.

Ismail, Jamal Jalil, Towards a Vision for a Stylistic Study in Modern Iraqi Poetry, Journal of Educational Studies, No. 5, 2009, p. 85-118.

Jaber, Abdul Hakim, Mythical Time and Place in the Novel, Novel Magazine, Path to Life, Issue 35, 2016, p. 40-60.

Jamil, Jawad, Al-Hussein is a second language, 1st edition, Amir Press, Qom, 1996, pp. 5-160.

Jamil, Jawad, Things Deleted by the Censorship, 1st edition, Dar Al-Furat, Beirut, 1998, p. 3.

Lotman, Uri, The Problem of Artistic Place, translated by: Siza Qassem, Alef Magazine published by the American University in Cairo, Issue 6, 1986, p. 86.

Mokhtari, Qasim, On the Carpet of the Wonderful Wind, Journal of Arabic Language and Literature, Year 9, Issue 1, 1434, p. 123-144.

Mumtahen, Mahdi, Time between Literature and the Qur'an, Journal of Contemporary Literary Studies, Year 2, Issue 5, 1388, p. 149-167.

Nacot, Vidal, Homer's poems and the problem of multiple formulations, La Mecca, 2000, p. 19.

Najafi, Reza, Al-Husainiyyah Epic in Rehab Al-Adab Al-Maqaran "A Look at the Collection of Poems (Al-Hussein's Second Language) and

(Sparrow and Gabriel)", Research Magazine in Al-Adab Al-Maqarn, Issue 11, 2013, p. 115-134.
Prince, Gerald, Narrative Terms, translated by: Abed Khazin Dar, 1st edition, Supreme Cultural Council, Lebanon, 2002, p. 231.
Rostom Pour, Ruqayyah, Manifestations of Place in the Poetry of Izz al-Din al-Manasrah, Journal of Studies in the Human Sciences, No. 18, 2011, p. 17-31.
Rostom Pour, Ruqayyah, Reflection of Revolutionary Values in Contemporary Husseini Poetry, Al-Husseini Reform Magazine, No. 17, 1395, p. 1-20.
Salama, Boulos, Eid al-Ghadeer, 4th edition, Cultural Foundation for the Supporters of Hussein (peace be upon him), Beirut, 1990, p. 1.
Shubar, Jawad, Al-Taf Literature or Poets of Al-Hussein (peace be upon him), 1st edition, The History Foundation, Beirut, 2001, p. 10.
Zayed, Abdel Samad, The Concept of Time and Its Alienation, La Makkah, 2005, pp. 11-12. Aladab.m;hanbbog.com

الهوامش

١. S-alixsender
٢. Michil-Bactin
٣. chronotope .